شيخ الأزهر لـ «الوطن»:

السلطة التي تحتوي عالم الدين تحت عباءتها ظالمة

زرع الفتنة بين السنة والشيعة أمر لا يرضاه الإسلام

القاهرة - بثينة قاسم:

تعيش المجتمعات العربية والإسلامية في الوقت الراهن موجة من الانقسام والتشرذم الفكري، الاجتماعي، العقائدي، الحقوقي.. إلخ على مستوى التطبيق والمعاملة، وهي في ذلك تذكرنا بمقولة الإمام محمد عبده - رحمه الله - إثر عودته من باريس أوائل القرن العشرين: "إنني وجدت في فرنسا إسلاماً بلا مسلمين، ووجدت في بلادنا مسلمين بلا إسلام".

والمجتمعات العربية الإسلامية في تخبطها وانزلاقها العشوائي بين المبدأ والتطبيق، إنما تحيا حالاً من التبعية والانجرار الذين مورسا عليها منذ أمد من الزمن، أدى إلى ما وصلت إليه الحال من تراجع وتقهقر عن اللحاق بالركب الحضاري.

الإسلام بين الأمس واليوم.. قضية جدلية، وجدت من يتصدى لها في الغرب، حينما تقوقع العرب المسلمون على ذواتهم وسرقتهم لقمة العيش عن التفكر والتأمل، حتى أصبحوا بحال من الجمود والتخاذل الذهني، في الوقت الذي أخذ فيه التاريخ يلعب لعبته بدوران الكرة، إذ سرعان ما شرع الغرب في الابتكار والاختراع، ساعدهم على ذلك هامش الحرية بين المثقف والسلطة، فأصبحنا نشهد أدوات التقنية الحديثة والتكنولوجيا المعاصرة تأتينا من الغرب، وكلما أكلتنا الحسرة على ما فاتنا، قلنا: "نحن أصل التقدم، نحن مصدر الإشعاع الحضاري، وأول من صدّر نقاط الضوء لتلك لأوروبا وضواحيها".

وفي ضوء ذلك يعيش المواطن العربي حالاً من التأرجح الفكري، يشوبها كثير من الانبهار والازدواجية بالحضارة الغربية، حيث الحرية والمساواة والنجاح المادي بلا حدود، بل والقدرة على شق الطريق دون "واسطات" أو "واوات" في مجتمعات ترسخ لمبدأ دولة القانون والمؤسسات، فهو مؤمن بعقيدته، ولكنه لا يجدها على أرض الواقع!

فلماذا باتت مجتمعاتنا العربية الإسلامية تعاني وهناً مستشرياً على مستوى حقوق الإنسان وضمان أحقيته في حياة كريمة كفلت له بموجب القرآن الكريم والسنة النبوية؟ وما موقف الأزهر الشريف من ذلك؟ ما موقف الأزهر من تنظيم القاعدة؟ وما علاقة علماء الدين بالسلطة الحاكمة؟ وما مشروعية تواجد القواعد العسكرية في أراضينا؟

الخلافات المتصاعدة بين السنة والشيعة، ولاية المرأة، الفتاوى الأزهرية "الطائشة"، وغيرها من القضايا والهموم التي حملتها على عاتقي وسألت عنها فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي، شيخ الأزهر. ورغم أن وقت فضيلته محدود لانشغاله الدائم، فإنه لم يتخلف عن الإجابة وكان باب مكتبه مفتوحا كصدره تماماً. كما استكملنا الحوار مع رئيس قطاع مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر، فضيلة الشيخ عبدالله مجاور حسين، وكيل الوزارة والذي كان يشغل منصب رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف.

■ كيف تفسر سماحكم تمسك تنظيم القاعدة بدقائق تعليمات الإسلام السمح، فيما تضرب تفجيراته الأبرياء، كيف يستقيم هذا التناقض؟

- سبق أن قلت إن كل من يعتدي على غيره بالقتل أو التخريب، ويفعل ذلك باسم الإسلام، فالإسلام بريء منه، لأن الإسلام ينهى عن قتل النفس إلا بالحق، وينهى عن التخريب بكل صوره وألوانه، يقول تعالى: "ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً".

ويكفي أن الله عز وجل بيّن أن قتل نفس واحدة ظلماً وعدواناً، كأنه قتل للإنسانية جمعاء، وذلك لقوله تعالى: "من قتل نفساً بغير حق فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً".

تعقد حكومات عربية تحالفات مع رجال الدين المسؤولين عن المؤسسات الدينية الرسمية، إن صح التعبير، لكسب مواليتها، برأيكم كيف يجب أن تكون علاقة عالم الدين بالسلطة الحاكمة وفق إطار الشريعة الإسلامية؟ وهنا يحضرني بيت شعر عربي قديم يقول:

يا علماء الدين يا ملح البلد من يصلح الملح، إذا الملح فسد؟

علاقة عالم الدين بالسلطة الحاكمة أن ينصح وأن يبين ما هو حق وما هو باطل، وما هو حلال وما هو حرام، وما هو من الشرع وما هو ما ليس من الشرع.

وإذا حاولت السلطة الحاكمة احتواء عالم الدين تحت عباءتها تكون سلطة ظالمة، ويكون عالم الدين قد خان الأمانة.

■ فضيلة الشيخ عبدالله مجاور حسين، يجد الغرب صعوبة في تفهم الثقافة الإسلامية، خصوصا فيما يتعلق بقضايا المرأة، تعدد الزوجات، مسألة الولاية .. وصولاً إلى صعوبات اشتراكها في الحياة العامة، برأي فضيلتكم لماذا هذا الالتباس؟

- إننا جميعاً نعترف بأننا مخلوقون، الله سبحانه وتعالى خلق كل إنسان وخلق كل شيء، وخلق هذا الإنسان الذي يتكون من رجل وامرأة، آدم وحواء، ونظم حياة المجتمع الإنساني عن طريق الرسل. ونحن الرجال والنساء موجهون من قبل الشرع الحكيم، لنعرف كيف نعيش على هذه الحياة الدنيا. أما الغرب الذي يدّعي الحضارة، فإنه يسيء إلى المرأة أكبر إساءة، إنه يستغلها في أشياء ليس فيها حقوق.

القرآن الكريم يعطي كل ذي حق حقه، إذ حافظ على المرأة وأعلى من شأنها، بعد أن كانت تؤأد في الجاهلية، يقول الله عز وجل: "وإذا بُشر أحدهم بالأنثى، ظل وجهه مسوداً وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به، أيمسكه على هون أو يدسه في التراب، ألا ساء ما يحكمون". جاء الإسلام وجعل لها مكانتها.

أما بالنسبة لتعدد الزوجات، كثيرون ينتقدونه ويقولون عنه كذا وكذا ... أيتزوج الرجل بأكثر من واحدة شرعاً وتكون زوجه بالحلال، لها حقوق وعليها واجبات، أم يخالل ويصاحب؟ الأفضل أن يتزوج واحدة واثنتين بشرط، أن تكون عنده الاستطاعة المالية والجسدية - لا حياء في الدين- حتى يتزوج بأكثر من واحدة، لكنه منهي عن أن يفعل شيئاً يخالف هذا الخط، كأن يصاحب أو يرتكب فاحشة الزنا، يحاسبه الشرع حساباً عسيراً، إن كان محصناً يُرجم، وإن كان غير محصن يُجلد، أليس هذا حفاظاً على المرأة؟

ومن هي المرأة في الإسلام؟ المرأة في المجتمع الإسلامي هي أمي، ابنتي، أختي، ولو سألت المرأة هذا السؤال، لأجابت: الرجل أبي، أخي، زوجي.. فالرجال شقائق النساء، والنساء شقائق الرجال، وقد وجهنا الإسلام توجيها يتماشى وطبيعة الجنس البشري، فلم يحجر على المرأة في ميدان العمل أو التعلم أو أن تقول ما تؤمن به. الرسول الأعظم (ص) كان يجعل يوماً من أيامه للنساء يعظهن فيه، أو يكن مع الرجال وخلفهم، وسيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - وهو يخطب بين الرجال والنساء بالنسبة للمهور، قالت امرأة ما قالت، فقال: "أخطأ عمر وأصابت امرأة". إذاً الإسلام كرم المرأة.

أما فيما يخص ولاية المرأة، قد أخبرنا الإسلام أن الملكة بلقيس كانت أعقل بكثير من رجال كانوا يعيشون معها في دولة اليمن، وحينما أرسل إليها كتاب من سيدنا سليمان وحمله الهدهد كما ذكر القرآن الكريم، يدعوها إلى الدخول في الإسلام، استقبلته بذكاء وجمعت وزراءها وأمراءها وقالت: "إني ألقي إلي كتاب كريم، إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي وائتوني مسلمين". فأخذت تستشيرهم، وكان لها وزير حربية متهور فقال: "نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بما يرجع المرسلون".

■ لماذا لم يحاول الإعلام الإسلامي تقديم صورة جيدة عن المرأة في الإسلام للعالم، على رغم ثراء المسلمين وقدراتهم الهائلة وكثرة معطياتهم الفضائية؟

- الغربيون لم يعلموا عن تلك الحضارة الإسلامية بين الرجال والنساء كما شرعها الإسلام، فهم يعيشون في بعد عنها، لأننا مقصرون في هذا الجانب. يتوجب علينا أن نعرّف بالإسلام مستخدمين اللغة التي يعرفون، فالإسلام حضارة وعدالة.

وهنا أود أن أستشهد بأحد الأمثلة حينما زارنا وفد ماليزي مؤخرا، كانوا قد وجهوا سؤالاً لفضيلة الإمام الاكبر عن أنهم يعيشون 60٪ مسلمين، و40٪ غير مسلمين، وتواجههم مشكلة صناع الخمر في بلادهم، بيد أن القائم على إدارة مصنع الخمر غير مسلم، كما أن البيع يتم لغير المسلم، إذاً لا وزر يقع على المسلم، ويقول الله عز وجل: "لكم دينكم ولي دين".

وقد قرأتُ في كتب الأحناف، لو أن مسلماً أراق خمراً لذمة، يتحمل ثمنه، وتستشف من ذلك مدى عدالة الإسلام. وقد أمر الإسلام بمصاحبة غير المسلم المصاحبة الخيرة، نقدم لهم الخير ونأكل من طعامهم، لقوله تعالى: "وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم، وطعامكم حل لهم". وإن ربطتني به علاقة جيرة، فلي الحق أن أشاركه أفراحه وأتراحه، طالما أنه لم يعتد. يقول تعالى: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين". والرسول الأعظم (ص) حينما وصل المدينة بعد الهجرة، كان أول ما قام به وضع صحيفة أو وثيقة بين المسلمين والمهاجرين وبين اليهود والنصارى الذين كانوا يعيشون على أرض المدينة، وكان من شروط الصحيفة أن المدينة أرض يعيش عليها المسلم وغير المسلم، والدفاع المشترك حين يغير عدو على المدينة يكون من المسلم وغير المسلم.

الأزهر لا يستقي تعليماته إلا من الأزهر!

الإسلام يبيح للمرأة تولي أعلى المناصب

ونود - نحن المسلمين - أن يعرف الغرب الإسلام بهذه الصورة التي تدل على مدى احترامه لحقوق الإنسان، إذ يقول الله عز وجل: "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً". وهذا التكريم والتفضيل دعا إليه الإسلام ودعت إليه كل الديانات السابقة بالنسبة لتكوين الإنسان رجلاً وامرأة.

■ في بلادي (البحرين)، إبان الاستعداد لتنفيذ اللجان البرلمانية في دورة جديدة، صرح عدد من رجال الدين أعضاء المجلس النيابي بأنهم لا يقبلون أن ترأس المرأة لجنة من لجان المجلس، لأن الإسلام لا يقبل أن تكون للمرأة ولاية على رجال. ما موقف الشرع الإسلامي في هذه القضية؟ وهل لديكم ما توجهونه للنواب؟

- أجاز بعض الفقهاء أن تكون المرأة قاضية في الأحكام التي ليس فيها إقامة حدود، لأن هذه الأحكام تتطلب قوة في القول وتحملاً، وربما تصاب المرأة بانهيار حين ترى من ينفذ فيه حكم الإعدام. بعض الفقهاء قال إنه يجوز لها ممارسة القضاء ما عدا الحدود، وفي مصر تولت المرأة منصب القضاء وكذلك أثبتت وجودها في مجلس الشعب، والمرأة المسلمة في كل مكان يجب أن تأخذ دورها في كل ما يعود بالنفع على البشرية أو على بلدها وعلى الناس الموجودين في مجتمعها وذلك بالالتزام الذي يعلي من شأنها ولا يضيع من كرامتها ولا يحطمها.

وعندما أقارن المرأة في الدول المسلمة بالدول الغربية كأمريكا وأوروبا، أرى أن هناك فرقاً شاسعاً في روح المعاملة، فهي أقرب للسلعة في المجتمعات الغربية، موجودة للمتعة فحسب، أما الإسلام، فإنه دين رحمة ورأفة، وكل فيه يأخذ حقه، إذ يعاقب المسيء ويكافأ المحسن، وإنه من المناسب القول إنه خلال شهر أغسطس (آب) الماضي، اعتنق الدين الإسلامي ألف شخص من 88 دولة، ولولا قوة الإسلام ومتانته، لانهار منذ قديم الزمان.

■ هناك لجنة لحقوق الإنسان تعمل في نطاق المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة في القاهرة .. ولكن كما يظهر فإن الأزهر بعيد كلياً عن التدخل في مسائل حقوق الإنسان وما يتعلق بها من قضايا تشغل المجتمعات العربية والإسلامية كما تشغل العالم، ما موقف الأزهر من مسائل حقوق الإنسان، وهل هناك موقف معلن من مواثيق حقوق الإنسان العالمية؟

- في كل يوم يتكلم علماء الدين عن الإسلام والدعوة والصلاة والزكاة وعن عدم ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، والأزهر يقوم بهذا في كتاباته وفي المجلات والتلفزيون والصحف، وجميع الأمور التي ذكرتها من عبادات تؤدق قيم حقوق الإنسان، فحينما يلتزم الإنسان بهذه العبادات والطاعات، سيصبح لديه حقوق يحصل عليها. أما بالنسبة لحقوق الإنسان التي وضعتها المنظمة العالمية وتنادي بها أمريكا اليوم، فنقول: هل تعطي أمريكا الإنسان حقوقه في العراق؟ هل حقوق الإنسان موجودة في فلسطين بالنسبة للكيان الصهيوني؟ كلا، وألف كلا.

أما الإسلام بمبادئه فيعطي الإنسان حقوقه، فبجرم المجرم ويثيب الطائع والمحسن، ونحن لسنا في غفلة عن حقوق الإنسان، ولكننا معلبون وفاعلون بالنسبة لهذا الأمر.

■ وهل حقوق الإنسان مصانة هنا في مصر العروبة والإسلام؟

- لو أن أحداً ما اعتدى عليها، فإن أشخاصا كثر سيتصدون له.

■ الأزهر مؤسسة إسلامية عالمية يجب أن يظل عند حسن ظن الأمة الإسلامية به ليظل بمؤسساته مرجعية أصيلة في أمور الدين والدنيا .. ويجب أن يبقى بمنأى عن الأهواء والآراء والاجتهادات الشخصية، مع ذلك ثارت كثير من القضايا الجدلية والمشكلات في الفتاوى وكان مصدرها علماء الأزهر، وآخرها مسألة إرضاع الكبير، كيف تنظرون إلى ذلك؟ وما خطتكم لوقف مثل هذه الظواهر؟

- الأزهر بكل مؤسساته وخصوصا مجمع البحوث الإسلامية حين يرى شيئاً مخالفاً يرد عليه ويصوبه بقيادة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر. بالنسبة لموضوع إرضاع الكبير الذي أثار بلبلة، وقال الدكتور ما قاله باجتهاد، فقد اجتمع مجمع البحوث الإسلامية وصوب الرأي، بل عاقب الدكتور، ولم يرض الأزهر أبداً عن أية فتوى تصدر من الأزهر أو غيره فيها أدنى شك أو خطأ، وهذا واجب الأزهر، لأنه - كما قلت في سؤالك - مرجعية دينية على مستوى العالم والناس. وقد اعتذر الدكتور عن الفتوى.

■ مسألة الخلافات المتصاعدة بين السنة والشيعة في العراق وصلت حد إراقة الدماء بصورة لم يشهدها العالم الإسلامي منذ عهد الفتن الكبرى، ولم يظهر موقف واضح للأزهر في هذه القضية. هناك بالطبع حديث عن التقريب بين المذاهب أو بين أتباع المذاهب وهناك تصريحات على لسان فضيلة الإمام الأكبر، ولكن أين هو الدور الريادي للأزهر؟

- الأزهر لم يفوت أي مؤتمر يدعو إلى التقريب بين المذاهب. وقد سافرت بتوجيه من الإمام الأكبر إلى أندونيسيا لحضور مؤتمر المصالحة بين السنة والشيعة خلال ثلاثة أيام، وكان معنا في المؤتمر أناس يمثلون الشيعة وآخرون يمثلون السنة من العراق ولبنان وإيران. فسمعنا منهم أننا نعيش معاً منذ زمن طويل، ولم يحدث مثل ما يحدث هذه الأيام. تساءلوا: ما السبب؟ وأكدوا أن أمريكا تقف خلف تلك الفتن والانقسامات، إذ ترى في وحدة المسلمين قوة تهدد كيانها، والعدو الماكر يذكي نار الفتنة بين السنة والشيعة. وقلنا في المؤتمر: يجب عليكم أن تعرفوا أن هذه مكيدة، وأنتم أهل بلد واحد وكلاكما تقران بشهادة أن "لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله". فأوضحوا لنا أنهم (أتباع المذاهب) يرفضون ما يدحر صفوفهم، بيد أن أنفسا مريضة تلك التي تنخر في أجسادهم، فتستجيب طائعة للدعاوى التي تبث الفتن بين السنة والشيعة. فالله نسأل أن يجمع شملنا، ويوحد كلمتنا في كل مكان، وأن يجعلنا يداً واحدة على أعدائنا.

■ من أين يستقي الأزهر الشريف صلاحياته؟

- الأزهر لا يستقي التعليمات إلا من الأزهر ذاته،

مجمع البحوث الإسلامية صوّب فتوى إرضاع الكبير

ألف شخص من 88 دولة أشهروا إسلامهم أغسطس الماضي

فالأزهر قائم على منهجية تعليمية مفادها كتاب الله وسنة نبيه منذ قديم الزمان، ولا يمكن لحاكم في مصر أو خارج مصر أن يوجه الأزهر توجيهاً.. أما بالنسبة للتحالفات التي تعقدها بعض الحكومات العربية مع رجال الدين، فنود أن نبين موقف الأزهر من ذلك، إذ يقول الله عز وجل في محكم تنزيله: "وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم"، فإذا كانت توجيهات أولي الأمر تتماشى مع الكتاب والسنة فلا ضرر في ذلك، أما إذا كانت تخالف تعليمات الشرع، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .. وهذا هو النهج الذي نسير عليه، فلو اتخذ مجلس الشعب على سبيل المثال قراراً فيه مخالفة للدين، فإن الأزهر بجميع مؤسساته يعارض ذلك.

والشائعات التي تحوم حول الأزهر من الخارج كثيرة، إذ يرون أن علاقة الأزهر ومؤسساته برئيس الجمهورية والوزراء علاقة طيبة، ونحن سعداء بذلك حيث لا عداء بيننا وبين الحكومة المصرية ولا أية حكومة عربية، طالما نسير على نهج القرآن والسنة. وللأزهر علاقات طيبة مع جميع الملوك والزعماء في الأمة العربية الإسلامية، وبودنا لو أن كل الأمة العربية والإسلامية تعيش هذا الوضوح في علاقتها بين الحاكم والمحكوم.

■ تقولون فضيلتكم إن أمريكا سبب في زرع بذور الفتنة بين السنة والشيعة في العالم العربي، ما هو لكم في مساعي إيران الراهنة لإقامة مسجد لأهل السنة والجماعة في طهران، رغم وجود ما يزيد على مليون سني فيها؟

- حينما تعوق إيران أمراً كذلك، فلا شك أن ذلك لا يرضاه الإسلام، لا سيما أن السنة والشيعة كما ذكرت سالفاً يقرون بأن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. ويوم جاءنا سؤال إلى دار الإفتاء المصرية من أحد الشيعة وقال، أنا لا أتزوج من أهل السنة والجماعة، كما أنهم لا يتزوجون من الشيعة، كان الرد أن هذا خطأ، لأن السني مسلم وقد تعيش معه مسلمة، والشيعي مسلم وقد تعيش معه مسلمة.

■ وماذا عن سب الصحابة؟

- لا شك أن الخطأ والصواب موجودان بين الناس، وهناك المحسن والمسيء، وقد يأخذ التشيع أكثر من الواجب نحو صحابي جليل دون سواه إلى النظر لمن بعده نظرة مغايرة.

وفي يوم من الأيام عندما تطاول أحدهم بكلمة، وجه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر جميع خطباء المساجد إلى ضرورة توضيح أن جميع الصحابة أصحاب رسول الله (ص)، قد أثنى الله عز وجل عليهم بقوله تعالى: "محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضوانا"، فكيف يكون أن يسب أحد أبا بكر أو عمر رضوان الله عليهما.

■ هناك قوات أمريكية في عدد من البلدان الخليجية، ما مدى مشروعية الاستعانة بهم في حماية أراضينا؟

- هذا سؤال سياسي نوعاً ما، ودائماً الأمور السياسية لها أبعادها، في الجملة، نحن مأمورون أن نتعامل مع من هم على غير ديننا، أن نتبادل معه التجارات والصناعات والخبرات والتكنولوجيا، وقد استأجر سيدنا محمد رسول الله (ص) عبدالله بن أريقط حينما كان مهاجراً من مكة إلى المدينة، لمعرفته بمسالك الطرق، ولو كان واحد آنذاك من المسلمين يعرف لاستبقاه رسول الله واستعان به، فنحن يجوز لنا أن نتعامل مع غير المسلمين في حدود المصالح الدنيوية، ولكم دينكم ولي دين.

«الوطن» تحاور فضيلة الإمام الأكبر د. محمد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف

«الوطن» تحاور فضيلة الشيخ عبدالله مجاور حسين رئيس قطاع مكتب شيخ الأزهر، وكيل الوزارة